

((مادة المناهج النقدية))

محاضرة – ماجستير ادب

مدرس المادة: أ.م. أحلام عامل هزاع

إيميل التدريسي : Ahlam.Hazaa@tu.edu.iq

● المحاضرة الثالثة : الفرق بين المدارس الادبية والمناهج النقدية

تكون المدارس تبنى من خلال ظهور النصوص والأدباء والمؤثرين في تطور العطاء الأدبي اما المناهج فأنها تتشكل عبر جهود الفلاسفة والعلماء والمنظرين في علوم الأدب والجمال، وهي تنطوي بمسائل المعرفة في حقبة معينة ولكنها تسجل حضوراً دائماً لا يزول بل يتطور بتطور المعرفة الانسانية إذا كانت المدارس تتلاشى بضعف النصوص التي استدعت ظهورها أو بزوال الخصائص النوعية المرافقة لظهورها فأن المناهج تبقى لأنها وحدات قياس معيارية تصلح لزمانها والأزمان اللاحقة إذ ان نستطيع ان نستحضر نصاً من اية اية حقبة أدبية ونخضعه للدراسة والتحليل بالاستناد إلى منهج نختاره من المناهج ،سواء أكان منهجاً سياقياً أم منهجاً نصياً ، فعلى سبيل المثال أعتمد د. طه حسين على المنهج التاريخي في دراسة الشعر الجاهلي أو شعر الأمويين الغزلي، وفي الوقت نفسه كان للناقد كمال ابو ذيب دراسات في الشعر الحالي تعتمد على المنهج البنيوي روثمة محاولات معروفة في دراسة شعر ابي نؤاس وابن الرومي للعقاد ومحمد النويهي من خلال المنهج النفسي

في الأدب العربي كان النص موجوداً قبل ان تتكون رؤى ثقافية على نحو عام التي تدرس النصوص لأدبية دراسات وصفية أو ذوقية أو معيارية أو بلاغية في زمن متأخر من ظهورها – النصوص_ ما يقارب القرنين من الزمان بدأت بعد قرنين من الزمان وبعد أن تأسست بواذر العلوم العقلية التي نظرت في النص الديني كالتفسير والفقهاء وبعد ان احتاج العرب إلى معارف جديدة للرد على الخصوم المشككين في حقيقة أو واقعية الشعر العربي كان لاهتمام المعتزلة بالنظرة العقلية الموضوعية أكبر الأثر في تطور النظرة النقدية العربية ثم ظهر علم الكلام والبلاغة التي أوجدت للتميزات الفنية فبعد أن كان الناقد يكتفي بالملاحظات الانطباعية أخذ عند تفاصيل جمالية تخص الرؤيا والدلالة والاسلوب لذلك استطعنا القول إن ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وابن رشيق القيرواني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من العلماء الذين استطاعوا تحديد ملاحظات وقوانين مبتكرة صُلّحت لتوافر نظرة نقدية جديدة لم تكن مألوفة في السابق، ونحسب ان هذه الرؤية المنهجية في الادب العربي يشبه أيضاً ما

حصل في الادب الغربي كالأدب الدرامي والملحمي الذين كانا موجودين قبل افلاطون وارسطو وان نظريتهما في المحاكاة قامت على دراسة تراث اليونان ف الشعر لاسيما الشعر الدرامي ولكن نظرية المحاكاة تعد جزءاً من الجهد الفلسفي والعقلي والتأملي استدعته التجربة الشعرية السابقة عليه لذلك بقي الشعر ميداناً لتطور النظرة الفلسفية إذ نجد العشر عند أرسطو أخضعت الشعر إلى مقياسه الجديد فهي لم تقصر الشعر على انه مجرد تمثيل حيادي للعالم المثالي بل هو صيرورة وتحول ومنذ عصر ارسطو أصبحت وظيفة الشعر بناءه جداً لأنها لا تعبر عما هو كائن بل عما ينبغي ان يكون ، وهذه الرؤية انتقلت الى الرومان ومن ثم إلى عصر النهضة الا ان نظرية الشعر شهدت تحولات منهجية عميقة

مع اقتران المسار التاريخي بالانفجارات المعرفية منذ القرن السابع عشر الذي شهد ظهور العلوم الاجتماعية والتجريبية والفتوحات الفلسفية التي شهدت ازدهاراً كبيراً تمخضت عنه رؤى منهجية متعددة مع ظهور الدراسات الاجتماعية ظهر كل من سانت بيف وبرونتيير وتين اللذين عُدّوا المسؤولين عن ظهور المنهج التاريخي في النقد الحديث وبدأت أيضاً المناهج السياقية مسيرتها عند ذلك العصر وهي تواكب التطورات المعروفة في علم النفس والاجتماع والاقتصاد والانثروبولوجيا والدراسات اللغوية وعلى وفقه هذا صار بوسعنا القول ان ثمة اتجاهين في المناهج النقدية الحديثة هما: 1- الاتجاه السياقي و2- الاتجاه النصّي ، ويمكن ان ندمج تحت اسم كل منهما عدد من المناهج.

وجبا وعلم السلالات و الاقوام و غير ذلك.

• اشكاليه الرؤية والمنهج

س/ ما هو المقصود بالرؤية و ما هو المقصود بالمنهج

الرؤية تأخذنا الى صيغتين لغويتين احدهما تكتب بالتاء المربوطة و الاخرى تكتب الالف القائمة وقد جرى التعارف على تسميتهما بالرؤية البصرية و الرؤية القلبية (الحمية) و عند البحث عن تداعيات المعنى لرؤية البصرية تستطيع القول انها تعبیر عن المادي و الواقع و لكل ما هو في متناول الاحاسيس الطبيعية في فهم جسدي محض لا يلامس غير سطح من المرئيات و لا يصل الى مكوناتها الذاتية الداخلية في حين الرؤيا تنصرف الى معاني متعددة منها الكشف و التنبؤ و تخطي وهي مفرغه من تأثير الحواس و متجهه الى موضوع غير مادي قائم التصور و توصف بها الاحلام لان الاحلام تمحي طاقات النفس في اليقظة و تعني الرؤيا ايضا الفهم الخاص للفنان و الاديب و هي كذلك رديف النظر الصوفي و الامتزاج في الكون و التوحد في اشياء وقد استعملها الناقد نورثروب فراي على انها مترادف للأدب ذاته

فالأدب ليس تقليد للطبيعة و ليس له مرجعيه واقعيه حتماً بل هو حلم الانسان و التصور الخيالي لرغباته و مخاوفه و الرؤيا ايضا مصطلح يشير فضلاً عن دلالاته الحلمية الى المنظور الفكري والفلسفية ووجهة النظر وقد قيل في وصف الشاعر الحق انه شاعر الرؤيا او الشاعر الكاشف الذي لا يكتفي بان يكون عدسة لاقطة تسجل ما يمر امامها وقد وصفه ايضا بانها رؤيه قلبيه اي الرؤيا التي تنصرف الى الاعتقاد و المعرفة و ليست الرؤيا التي تعني الحلم او اللغة العقل النائم إذ قد تلد دعاء الرؤيا في اليقظة و عندها تكون من قبل الشطحات و التهيئة وهنا تصبح مقابلة للتخيل وثمة ما يميز بين الكلمتين منظورا اليهما من خلال الشعر اذ ان الشعر الذي يقتصر على الوصف التصويري للطبيعة او على سرد الاحداث يكاد لا يعدو نطاق الرؤية البصرية و هو اضعف انواع الشعر لانه يقتصر على استعراض الجزيئات المرئية و هي متداولة لكل ذي عين باصرة وقد ميز الناقد غالي شكري بين كلمتي رؤيا رؤية حين قصر الرؤية على الرؤية الفكرية.

للاواقع و الفن التي تمنح الاولوية في العنصر الاجتماعي و الدلال الاجتماعية والسياقية (المستوى الموضوعي) و هو يرى ايضا ان الرؤيا الفكرية في ذاتها احد عناصر الرؤية الحديثة في الشعر في الرؤيا التي تستعمل الشاعر في عالمه المعاصر بتكوينه الثقافي او النفسي و الاجتماعي التي يعيش وخبراته الجمعية في الخلف و التذوق ومعدل تجاربه مع المجتمع ورفضه له او طبيعة العلاقة بينه وبين اسرار هذا الكون التي يتمثلها الشاعر و من ذلك فان كلمتي الرؤيا والرؤية اخذتا في النقد الحديث تتبادل الوظيفية و المعنى و لم يعد من الممكن ابداعيه و نقديا الفصل بين الشاعر و كيانه المادي المائل في القصيدة فالرؤيا ليست الفكر المجرد او وجهه النظر وحدها وهي ايضا ليست الموقف الفكري للشاعر معزولا بل هي كل هذه العناصر معا في مزيج جمالي و فكري حاد ومتجانس و شديد الغنى و على وفق هذا الفهم اخذ استعمال الرؤيا البصري يتسع اتساعا اذ يجوز لنا ان نقول على سبيل المثال رؤيه لموضوعه فالجملة هنا تحتوي الاستعارة اي ان الشاعر ينظر في موضوعه مع انه يعقل ولا يرى وكذلك مثل رؤية نجيب محفوظ للواقع الروائي او حضور الرؤية القائمة العبثية في القصة فرؤية نجيب محفوظ تشبه رؤية شيء في جسم ، إذن كذلك الحال في الرؤية العبثية فهي بظهورها في الفن القصصي كأنها اكتسبت واقعاً عياناً ونحن نرى ان هذا الاستعمال أخذ يشيع في الكتابات النقدية فأصبح يعبر عن المعنى والفكر والفلسفة ووجهة النظر.

اما المنهج فقد عرفه الدكتور سعيد علوش في كتابه معجم المصطلحات الادبية المعاصرة بانه سلسلة العمليات المبرمجة التي تهدف الى الحصول على نتيجة مطابقة لمقتضيات النظرية و يقابل المنهج الطريقة وتجدر الاشارة هنا الى ان المقصود بالنظرية هي الرؤية على وفق

المعاني التي حددناها سابقا اما عن علاقة الرؤيا بالمنهج فنرى انالعملية النقدية بوصفها فعالية تهدف الى استكشاف عالم الخطاب الابداعي في مستوياته الاسلوبية و التركيبية و الدلالية تنهض على ركيزتين اساسيتين هما الرؤيا التي ينطلق منها الناقل و المنهج التي يتبعه للوصول الى ما يصبي اليه .تتمثل الرؤيا في تحديد موقف دقيق و عميق ازاء الظواهر الانسانية المهمة و منها الفعالية الابداعية بوصفها واحدة من اخصب تلك الظواهر واكثرها خطرا على اثار احتمالات التفسير والتأويل في كيفية تكونها و في عناصرها الاساسية و فيما تنطوي عليه من دلالة فالرؤيا تتألف من تراكم المعارف و الافكار و قضايا الابداع متجسدة في النتائج العلمي و الادبي اذا ان هذه لا يمكن تخيل وجودها على نحو منتظم و دقيق لولا نهوضها على نظام من الوصف و التحليل والاستنتاج و هكذا فان تراكم المعارف الافكار و قضايا الابداع جعلت حضور المنهج ضروري لازم عنها لانه العنصر الذي يتكفل بوصفها وتحليلها .اما عن قضية حضور الرؤيا و المنهج في النص النقدية فيمكن الكشف عنها بواسطة قراءة النصوص وتفهمها بمعزل عن اي مؤثر انطباعي او مستعار من خارج النص لان الناقد حين يمارس حريته القرائية سوف يكتشف عوالم اسلوبية و بنائية لن تكون تخطر حتى في بال المؤلف و هذه الوقفة الخاصة جدا من قبل الناقد سوف تكون لديه رؤيا متفردة لا يشارك فيها احد لانها مستمدة من روح الناس ويقتضي ذلك الفهم الخاصة بمعرفة خطوات معرفه مستمدة من كشوفات هذه الرؤيا من اجل تحليله واكتشاف و على العكس من ذلك فان الناقد الذي لا ينجح في اكتشاف قوانين النص وسبر اغواره و يكتفي بظروف انتاجه أو حياة مؤلفه او القضايا العامة التي يثيرها كأن تكون اجتماعية او سياسية او ثقافية فهذا الناقد لا يستطيع ان يبتدع جهاز صحيحاً اي انه يكتفي بخطوات غير منهجية مستعارة من مناهج تقع خارج منطقة النص على سبيل المثال لو اعطينا ديوان جرير لناقدين احدهما تنهض رؤيته على المعلومات القديمة المعروفة عن الشعر العربي و لغته و شعره المستبدة من اراء القدماء و ليس عنده سوى ثقافة النقد العربي القديم فانه حين يتعامل مع الديوان سوف يشتغل على منهجية تنهض على ترجمة حياة الشاعر ، شرح الابيات ، ذكر الأراء ،والكشف عن المضامين، و توضيح الوسائل البلاغية . اما الناقد الاخر فان له رؤيته التي تنهض على المعاينة النصية من خلال ثقافة نقدية حديثة لأنهمطلع على النظريات و المواجهات النصية لذلك فانه يتبع منهجاً مختلفاً يعتمد على دراسة باطن النص ولا يعبأ بظواهر الخارجية اي انه يتعامل مع النص بوصفه لغة ادبية من طراز خاص .